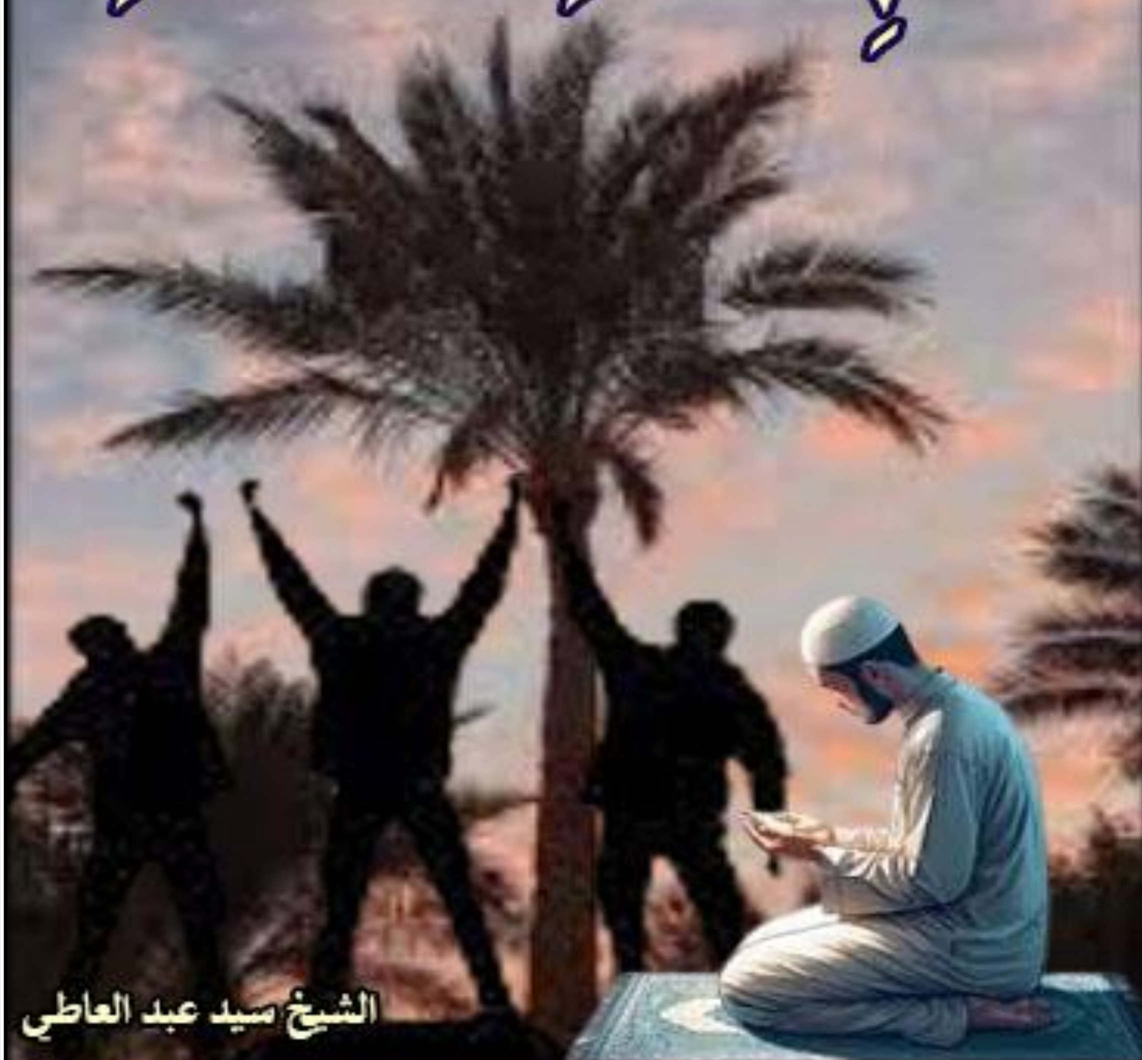

كُن ثَابِتًا كَالنَّخْلَةِ نَافِعًا كَالنَّحْلَةِ
الشيخ سيد عبد العاطي
اصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

كُنْ
ثَابِتًا كَالنَّخْلَةِ
نَافِعًا كَالنَّحْلَةِ

الشيخ سيد عبد العاطي



بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ ، اَللَّهُمَّ لَكَ اَلْحَمْدُ كَمَا خَلَقْتَنَا وَرَزَقْتَنَا ، وَهَدَيْتَنَا وَعَلَّمْتَنَا ، وَفَرَّجْتَ عَنَّا ، لَكَ اَلْحَمْدُ بِالْإِسْلَامِ ، بِالْقُرْآنِ ، بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمُعَافَاةِ ، بَسَطْتَ رِزْقَنَا ؛ فَلَكَ اَلْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، تَعْلَمُ وَلَا حُدُودَ لِعِلْمِكَ ، وَتُرِيدُ اَلْخَيْرَ وَلَا رَادَّ لِفَضْلِكَ ، وَتُحَكِّمُ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا ذَكَرَكَ اَلذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ اَلْغَافِلُونَ.

أَمَّا بَعْدُ:

–فَإِنَّ اَلْمُؤْمِنَ كَالْغَيْثِ أَيْنَمَا وَقَعَ نَفَعَ ، فَهُوَ نَافِعٌ بِعِلْمِهِ ، وَبِأَخْلَاقِهِ ، وَبِمَالِهِ ، لَا يَبْخَلُ بِمَالٍ أَوْ نَصِيحَةٍ أَوْ مَشُورَةٍ ، إِذَا نَطَقَ نَطَقَ بِخَيْرٍ ، وَإِذَا صَمَتَ صَمَتَ عَنْ اَلشَّرِّ ، فَهُوَ بَاذِلٌ لِلنَّدَى ، كَافٌّ لِلْأَذَى ، طَلْقُ اَلْوَجْهِ ، قَلْبُهُ يَحْوِي فَضَائِلَ اَلْخَيْرِ ، يُحِبُّ اَلْخَيْرَ لِلْغَيْرِ ، فَهُوَ سَلِيمُ اَلصَّدْرِ ، حَسَنُ اَلظَّنِّ ، طَيِّبُ اَلْمَعْشَرِ ، هَيِّنٌ لَيِّنٌ سَهْلٌ قَرِيبٌ ، لَا يُنْكِرُ جَمِيلًا ، وَلَا يَنْسَى فَضْلًا ، خَاضِعٌ لِرَبِّهِ تَعَالَى ، مُتَّبِعٌ لِنَبِيِّهِ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، خَاشِعٌ فِي صَلَاتِهِ ، مُعْرِضٌ عَنْ اَللَّغْوِ ، مُخْرِجٌ لِزَكَاتِهِ ، حَافِظٌ لِفَرْجِهِ ، يَرْعَى عَهْدَهُ ، وَيَحْفَظُ أَمَانَتَهُ ، وَيُحَافِظُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي وَقْتِهَا ، صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ ، أَمِينٌ لَا يَخُونُ ، مُتَوَكِّلٌ عَلَى رَبِّهِ تَعَالَى ،مُخْلِصٌ فِي عَمَلِهِ ، يُكْرِمُ ضَيْفَهُ ، وَيُحْسِنُ إِلَى جَارِهِ ، وَيَصِلُ رَحِمَهُ ، بَارٌّ بِوَالِدَيْهِ ، قَائِمٌ بِالْعَدْلِ مَعَ خَصْمِهِ ، لَيْسَ فَظًّا وَلَا غَلِيظَ اَلْقَلْبِ ، يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، وَيُقَابِلُ اَلسَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ اَلدَّهْرِ.

–فَلَا يَخْفَى عَلَى مُسْلِمٍ مَا لِلْإِيمَانِ مِنْ أَهَمِّيَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَمَكَانَةٍ عَالِيَةٍ رَفِيعَةٍ، وَدَرَجَةٍ سَامِيَةٍ مُنِيفَةٍ، فَهُوَ أَعْظَمُ اَلْمَطَالِبِ، وَأَجَلُّ اَلْمَقَاصِدِ، وَأَنْبَلُ اَلْأَهْدَافِ؛ إِذْ بِهِ يَنَالُ اَلْعَبْدُ سَعَادَةَ اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُدْرِكُ أَهَمَّ اَلْمَطَالِبِ وَأَجَلَّ اَلْمَقَاصِدِ، وَيَظْفَرُ بِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَيَنْجُو مِنْ اَلنَّارِ وَسَخَطِ اَلْجَبَّارِ، وَيَنَالُ رِضَى اَلرَّبِّ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِ أَبَدًا، وَيَتَلَذَّذُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ اَلْكَرِيمِ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، وَثَمَرَاتُ اَلْإِيمَانِ وَفَوَائِدُهُ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى، فَكَمْ لِلْإِيمَانِ مِنْ فَوَائِدَ عَظِيمَةٍ، وَثِمَارٍ يَانِعَةٍ، وَخَيْرٍ مُسْتَمِرٍّ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَمَّا كَانَ اَلْإِيمَانُ

بِهَذِهِ اَلْمثَابَةِ وَعَلَى هَذَا اَلْقَدْرِ مِنْ اَلْأَهَمِيَّةِ، كَانَتِ اَلنُّصُوصُ اَلْمُبَيِّنَةُ لِفَضْلِهِ وَالدَّالَّةُ عَلَى شَرِيفِ قَدْرِهِ كَثِيرَةً جِدًّا وَمُتَنَوِّعَةً؛ إِذْ إِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اَللَّهِ اَلْبَالِغَةِ وَنِعْمَتِهِ اَلسَّابِغَةِ عَلَى عِبَادِهِ أَنَّ جَعَلَ اَلْأَمْرَ كُلَّمَا كَانَتِ اَلْحَاجَةُ إِلَيْهِ أَعْظَمَ وَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِ أَلْزَمَ كَانَتْ بَرَاهِينُهُ وَطُرُقُ تَحْصِيلِهِ وَسُبُلُ نَيْلِهِ أَوْفَرَ وَأَكْثَرَ، وَحَاجَةُ اَلْعِبَادِ إِلَى اَلْإِيمَانِ هِيَ أَعْظَمُ اَلْحَاجَاتِ، وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ وَسَائِرِ شُؤُونِهِمْ؛ وَلِذَا كَانَتْ دَلَائِلُ اَلْإِيمَانِ أَقْوَى اَلدَّلَائِلِ، وَبَرَاهِينُهُ أَصَحَّ اَلْبَرَاهِينِ، وَسُبُلُ نَيْلِهِ وَتَحْصِيلِهِ أَيْسَرَ اَلسُّبُلِ مَسْلَكًا وَأَقْرَبَهَا مَأْخَذًا وَأَسْهَلَهَا مُتَنَاوَلًا؛ وَلِذَا أَيْضًا تَنَوَّعَتْ وَتَعَدَّدَتْ بَرَاهِينُ اَلْإِيمَانِ وَدَلَائِلُهُ اَلْمُوَضِّحَةُ لَهُ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا.



وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ دَلَائِلِ الإِيمَانِ اَلَّتِي اِشْتَمَلَ عَلَيْهَا اَلْقُرْآنُ ضَرْبَ اَلْأَمْثَالِ اَلَّتِي بِهَا تَتَّضِحُ حَقِيقَتُهُ، وَتَسْتَبِينُ تَفَاصِيلُهُ وَشُعَبُهُ، وَتَظْهَرُ ثَمَرَتُهُ وَفَوَائِدُهُ. وَالْمَثَلُ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قَوْلٍ فِي شَيْءٍ يُشَبِّهُ قَوْلًا فِي شَيْءٍ آخَرَ بَيْنَهُمَا مُشَابَهَةٌ لِتَبْيِينِ أَحَدِهِمَا مِنَ اَلْآخَرِ وَتَصْوِيرِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ ضَرْبَ اَلْأَمْثَالِ مِمَّا يَأْنَسُ بِهِ اَلْعَقْلُ، لِتَقْرِيبِهَا اَلْمَعْقُولَ مِنْ اَلْمَشْهُودِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى . وَكَلَامُهُ اَلْمُشْتَمِلُ عَلَى أَعْظَمِ اَلْحِجَجِ وَقَوَاطِعِ اَلْبَرَاهِينِ .:

{ وَتِلْكَ اَلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا اَلْعَالِمُونَ } (اَلْعَنْكَبُوتِ: ٤٣)، وَقَدْ اِشْتَمَلَ مِنْهَا [أَيْ اَلْقُرْآنِ] عَلَى بِضْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ مَثَلًا، وَكَانَ بَعْضُ اَلسَّلَفِ إِذَا قَرَأَ مَثَلًا لَمْ يَفْهَمْهُ يَشْتَدُّ بُكَاؤُهُ وَيَقُولُ: لَسْتُ مِنْ اَلْعَالِمِينَ }.(اَلْكَافِيَةُ اَلشَّافِيَةُ لِابْنِ اَلْقَيِّمِ ص: ٩).

–وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ:{ اِعْقِلُوا عَنْ اَللَّهِ اَلْأَمْثَالَ }.(رَوَاهُ اِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ كَمَا فِي اَلدُّرِّ اَلْمَنْثُورِ لِلسُّيُوطِيِّ :٥/٢٦).

–يَقُولُ تَعَالَى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اَللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي اَلسَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اَللَّهُ اَلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }.(إِبْرَاهِيمَ: ٢٤، ٢٥)

فَهَذَا مَثَلٌ بَدِيعٌ عَظِيمُ اَلْفَائِدَةِ، مُطَابِقٌ لِمَا ضُرِبَ لَهُ تَمَامَ اَلْمُطَابَقَةِ، وَقَدْ بَدَأَهُ اَللَّهُ بِقَوْلِهِ:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اَللَّهُ مَثَلًا }

أَيْ: أَلَمْ تَرَ بِعَيْنِ قَلْبِكَ فَتَعْلَمَ كَيْفَ مَثَّلَ اَللَّهُ مَثَلًا وَشَبَّهَهُ شِبْهًا لِلْكَلِمَةِ اَلطَّيِّبَةِ كَلِمَةِ اَلْإِيمَانِ، وَخَتَمَهُ بِقَوْلِهِ { وَيَضْرِبُ اَللَّهُ اَلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }

أَيْ: أَنَّ اَلْقَصْدَ مِنْ ضَرْبِ هَذَا اَلْمَثَلِ وَغَيْرِهِ مِنَ اَلْأَمْثَالِ هُوَ تَذْكِيرُ اَلنَّاسِ وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى اَلِاعْتِبَارِ وَعَقْلِ اَلْخِطَابِ عَنْ اَللَّهِ.

-وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا اَلْبَدْءَ وَالْخَتْمَ فِي اَلْآيَةِ فِيهِ أَعْظَمُ حَضٍّ عَلَى تَعَلُّقِ هَذَا اَلْمَثَلِ وَتَعَقُّلِهِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَذَا اَلْمَثَلِ اَلْمَضْرُوبِ، كَيْفَ لَا وَهُوَ يَتَنَاوَلُ بَيَانَ اَلْإِيمَانِ اَلَّذِي هُوَ أَعْظَمُ اَلْمَطَالِبِ وَأَشْرَفُ اَلْمَقَاصِدِ عَلَى اَلْإِطْلَاقِ. -وَعِنْدَمَا نَتَأَمَّلُ هَذَا اَلْمَثَلَ اَلْعَظِيمَ نَجِدُ أَنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكَرَ فِيهِ مُمَثَّلًا لَهُ، وَمُمَثَّلًا بِهِ، وَوَجْهَ اَلْمَثَلِيَّةِ بَيْنَهُمَا، فَالْمُمَثَّلُ لَهُ هُوَ اَلْكَلِمَةُ اَلطَّيِّبَةُ، وَالْمُمَثَّلُ بِهِ اَلشَّجَرَةُ اَلطَّيِّبَةُ، وَوَجْهُ اَلْمَثَلِيَّةِ هُوَ كَمَا قَالَ اَللَّهُ:{ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي اَلسَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا }، فَشَبَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلِمَةَ اَلْإِيمَانِ اَلثَّابِتَةَ فِي قَلْبِ اَلْمُؤْمِنِ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ فُرُوعٍ وَشُعَبٍ وَثِمَارٍ بِالشَّجَرَةِ اَلطَّيِّبَةِ اَلثَّابِتَةِ اَلْأَصْلِ اَلْبَاسِقَةِ اَلْفَرْعِ فِي اَلسَّمَاءِ عُلُوًّا، اَلَّتِي لَا تَزَالُ تُؤْتِي ثَمَرَاتِهَا كُلَّ حِينٍ، وَمَنْ يَتَأَمَّلُ فِي اَلْمُمَثَّلِ بِهِ وَهُوَ اَلشَّجَرَةُ اَلطَّيِّبَةُ، وَالْمُمَثَّلَ لَهُ وَهُوَ كَلِمَةُ اَلْإِيمَانِ فِي قَلْبِ اَلْمُؤْمِنِ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ ثِمَارٍ يَجِدُ أَوْصَافًا عَدِيدَةً مُتَطَابِقَةً بَيْنَهُمَا، وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى بَعْضِهَا فِي اَلْآيَةِ كَمَا تَقَدَّمَ.

-وَلِذَا يَقُولُ اِبْنُ اَلْقَيِّمِ رَحِمَهُ اَللَّهُ:{ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا اَلتَّشْبِيهَ رَأَيْتَهُ مُطَابِقًا لِشَجَرَةِ اَلتَّوْحِيدِ اَلثَّابِتَةِ الرَّاسِخَةِ فِي الْقَلْبِ، الَّتِي فُرُوعُهَا مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ صَاعِدَةً إلَى السَّمَاءِ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ تُثْمِرُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ كُلَّ وَقْتٍ، بِحَسَبِ ثَبَاتِهَا فِي الْقَلْبِ، وَمَحَبَّةِ الْقَلْبِ لَهَا، وَإِخْلَاصِهِ فِيهَا، وَمَعْرِفَتِهِ بِحَقِيقَتِهَا، وَقِيَامِهِ بِحُقُوقِهَا، وَمُرَاعَاتِهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، فَمَنْ رَسَخَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي قَلْبِهِ بِحَقِيقَتِهَا الَّتِي هِيَ حَقِيقَتُهَا، وَاتَّصَفَ قَلْبُهُ بِهَا، وَانْصَبَغَ بِهَا بِصِبْغَةِ اللَّهِ الَّتِي لَا أَحْسَنَ صِبْغَةً مِنْهَا، فَعَرَفَ حَقِيقَةَ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يُثْبِتُهَا قَلْبُهُ لِلَّهِ وَيَشْهَدُ بِهَا لِسَانُهُ وَتُصَدِّقُهَا جَوَارِحُهُ، وَنَفَى تِلْكَ الْحَقِيقَةَ وَلَوَازِمَهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، وَوَاطَأَ قَلْبُهُ لِسَانَهُ فِي هَذَا النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَانْقَادَتْ جَوَارِحُهُ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ طَائِعَةً سَالِكَةً سُبُلَ رَبِّهِ ذُلُلًا غَيْرَ نَاكِبَةٍ عَنْهَا وَلَا بَاغِيَةٍ سِوَاهَا بَدَلًا، كَمَا لَا يَبْتَغِي الْقَلْبُ سِوَى مَعْبُودِهِ الْحَقِّ بَدَلًا؛ فَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ عَلَى هَذَا اللِّسَانِ لَا تَزَالُ تُؤْتِي ثَمَرَتَهَا مِنْ الْعَمَلِ

الصَّالِحِ الصَّاعِدِ إِلَى اللهِ كُلَّ وَقْتٍ، فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَيِّبَةُ هِيَ الَّتِي رَفَعَتْ هَذَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَيِّبَةُ تُثْمِرُ كَلِمًا كَثِيرًا طَيِّبًا يُقَارِنُهُ عَمَلٌ صَالِحٌ فَيَرْفَعُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَ الطَيِّبَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَيِّبَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْكَلِمَةَ الطَيِّبَةَ تُثْمِرُ لِقَائِلِهَا عَمَلًا صَالِحًا كُلَّ وَقْتٍ.



وَالْمَقْصُودُ أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ إذَا شَهِدَ بِهَا الْمُؤْمِنُ عَارِفًا بِمَعْنَاهَا وَحَقِيقَتِهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، مُتَّصِفًا بِمُوجِبِهَا قَائِمًا قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَجَوَارِحُهُ بِشَهَادَتِهِ؛ فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَيِّبَةُ هِيَ الَّتِي رَفَعَتْ هَذَا الْعَمَلَ مِنْ هَذَا الشَّاهِدِ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ رَاسِخٌ فِي قَلْبِهِ، وَفُرُوعُهَا مُتَّصِلَةٌ بِالسَّمَاءِ، وَهِيَ مُخْرِجَةٌ لِثَمَرَتِهَا كُلَّ وَقْتٍ}.(إِعْلَامُ الْمُوَقِّعِينَ : ١/١٧٣،١٧٢).

-وَقَدْ صَحَّ فِي الْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّ الشَّجَرَةَ الطَيِّبَةَ هِيَ النَّخْلَةُ، وَذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-وَسَوْفَ يَأْتِي النَّصُّ، وَهُوَ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ عَنْهُ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

-فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ الْحَدِيثَ فِي مَوَاطِنَ عَدِيدَةٍ مِنْ صَحِيحِهِ فَقَدْ رَوَى الْحَدِيثَ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ صَحِيحِهِ، فِي بَابِ:{ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ}، وَهُوَ بِذَلِكَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالشَّجَرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ هِيَ النَّخْلَةُ، فَيَكُونُ الْحَدِيثُ بِذَلِكَ مُفَسِّرًا لِلْآيَةِ. -وَقَدْ وَرَدَ هَذَا صَرِيحًا فِيمَا رَوَاهُ الْبَزَّارُ مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:{ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ...}

فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هِيَ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَمَنَعَنِي أَنْ أَتَكَلَّمَ مَكَانَ سِنِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هِيَ النَّخْلَةُ}.(أَوْرَدَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ ١/١٤٦).

-مِنْ أجل ذَلِكَ شَبَّهَ اَلنَّبِيُّ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْمُؤمِنَ بِالنَّخْلَةِ وَكَذَلِكَ بِالنَّحْلَةِ ، وَفِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمُخْتَصَرَةِ الْمَوْسُومَةِ بِهَذَا الْعُنْوَان { كُنْ ثَابِتًا كَالنَّخْلَةِ نَافِعًا كَالنَّحْلَةِ } بَيَانُ الْفَوَائد الْإِيمَانِيَّةِ مِنَ الْتَّشْبِيهَيْنِ وَإِلَيْكَ اَلْبَيَانَ:

(أ) أَخْرَجَ اَلْإِمَامُ اَلْبُخَارِيُّ – رَحِمَهُ اَللَّهُ تَعَالَى – فِي صَحِيحٍ بِرَقْمٍ (١٣١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اَللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – : أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : { إِنَّ مِنَ اَلشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَهِيَ مَثَلُ اَلْمُسْلِمِ ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ اَلنَّاسُ فِي شَجَرِ اَلْبَادِيَةِ ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا اَلنَّخْلَةُ ، قَالَ عَبْدُ اَللَّهِ : فَاسْتَحْيَيْتُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اَللَّهِ ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : هِيَ اَلنَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اَللَّهِ : فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي ، فَقَالَ : لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا }.



-شَرْحُ اَلْحَدِيثِ:

-كَانَ اَلنَّبِيُّ–صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُعَلِّمًا حَكِيمًا وَمُرَبِّيًا عَظِيمًا ، وَكَانَ يُقَرِّبُ اَلْمَفَاهِيمَ لِلنَّاسِ بِضَرْبِ اَلْأَمْثَالِ اَلْمُوَضِّحَةِ

-وَفِي هَذَا اَلْحَدِيثِ يَرْوِي عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ عُمَرَ–رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا– أَنَّ اَلنَّبِيَّ–صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سَأَلَ أَصْحَابَهُ عَنْ اَلشَّجَرَةِ اَلَّتِي لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَشَبَّهَهَا بِالْمُسْلِمِ ، فَذَهَبَتْ أَفْكَارُهُمْ أَنَّهَا شَجَرُ اَلصَّحْرَاءِ ، وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ يُفَسِّرُهَا بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ اَلشَّجَرِ اَلَّذِي يَخْرُجُ فِي اَلصَّحْرَاءِ وَذَهَلُوا عَنْ اَلنَّخْلَةِ ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِ اِبْنِ عُمَرَ أَنَّهَا اَلنَّخْلَةُ ، وَلَكِنَّهُ اِسْتَحْيَا أَنْ يَذْكُرَ مَا فِي نَفْسِهِ تَوْقِيرًا لِأَكَابِرِ اَلصَّحَابَةِ اَلْحَاضِرِينَ اَلَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوهَا ، وَفَسَّرَهَا لَهُمُ اَلنَّبِيُّ– صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِالنَّخْلَةِ.

-وَأَشْبَهَتِ اَلنَّخْلَةُ اَلْمُسْلِمَ فِي كَثْرَةِ خَيْرِهَا ، وَدَوَامِ ظِلِّهَا ، وَطِيبِ ثَمَرِهَا ، وَيُتَّخَذُ مِنْهُ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ، وَهِيَ كُلُّهَا مَنَافِعُ وَخَيْرٌ وَجَمَالٌ ، وَالْمُؤْمِنُ خَيْرٌ كُلُّهُ مِنْ كَثْرَةِ طَاعَاتِهِ، وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ،

وَمُوَاظَبَتِهِ عَلَى عِبَادَتِهِ وَصَدَقَتِهِ، وَسَائِرِ اَلطَّاعَاتِ؛ فَكَأَنَّ اَلْخَيْرَ لَا يَنْقَطِعُ مِنْهُ، فَهُوَ دَائِمٌ كَمَا تَدُومُ أَوْرَاقُ اَلنَّخْلَةِ فِيهَا، ثُمَّ اَلثَّمَرُ اَلْكَائِنُ مِنْهَا فِي أَوْقَاتِهِ.

-ثُمَّ أَخْبَرَ عَبْدُ اَللَّهِ أَبَاهُ عُمَرَ بْنَ اَلْخَطَّابِ- رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا- بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ أَنَّهَا اَلنَّخْلَةُ وَاسْتِحْيَائِهِ مِنْ ذِكْرِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ:{ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا وَأَخْبَرْتَ اَلرَّسُولَ- صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَنَّهَا اَلنَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا }، أَيْ: مِنْ أَنْ أُعْطَى كَذَا وَكَذَا، كَحُمْرِ اَلنَّعَمِ مَثَلًا، زَادَ اِبْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ: أَحْسِبُهُ قَالَ:{ حُمْرِ اَلنَّعَمِ }،وَإِنَّمَا تَمَنَّى ذَلِكَ عُمَرُ لِيَدْعُوَ اَلنَّبِيُّ- صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِابْنِهِ، فَتَنَالَهُ بَرَكَةُ دَعْوَتِهِ، كَمَا نَالَتْ عَبْدَ اَللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا-،وَلِيَظْهَرَ عَلَى اِبْنِهِ فَضِيلَةُ اَلْفَهْمِ مِنْ صِغَرِهِ، وَيَسُودَ بِذَلِكَ فِي كِبَرِهِ.



-فَوَائِدُ إِيمَانِيَّةٌ مِنْ اَلْحَدِيث :

-اِسْتَخْرَجَ اَلْعُلَمَاءُ عِدَّةَ فَوَائِدَ مِنْ هَذَا اَلْحَدِيثِ أَذْكُرُ مِنْهَا :

(1)اِسْتِحْبَابُ إِلْقَاءِ اَلْعَالِمِ اَلْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ ؛ لِيَخْتَبِرَ أَفْهَامَهُمْ ، وَيُرَغِّبَهُمْ فِي اَلْفِكْرِ وَالِاعْتِنَاءِ .

(2)وَفِيهِ ضَرْبُ اَلْأَمْثَالِ وَالْأَشْبَاهِ لِتَقْرِيبِ اَلْمَعْنَى وَجَعْلِ اَلْأَمْرِ اَلْمَعْنَوِيِّ كَالْمَحْسُوسِ .

(3)وَفِيهِ تَوْقِيرُ اَلْكِبَارِ كَمَا فَعَلَ اِبْنُ عُمَرَ ، لَكِنْ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ اَلْكِبَارُ اَلْمَسْأَلَةَ فَيَنْبَغِي لِلصَّغِيرِ اَلَّذِي يَعْرِفُهَا أَنْ يَقُولَهَا .

(4)وَفِيهِ سُرُورُ اَلْإِنْسَانِ بِنَجَابَةِ وَلَدِهِ ، وَحُسْنِ فَهْمِهِ ، وَقَوْلُ عُمَرَ-رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ- : لِأَنْ تَكُونَ قُلْتَ : هِيَ اَلنَّخْلَةُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ ، أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ اَلنَّبِيَّ-صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَدْعُو لِابْنِهِ ، وَيُعْلِمُ حُسْنَ فَهْمِهِ وَنَجَابَتِهِ .

(5)وَفِيهِ فَضْلُ اَلنَّخْلِ ، قَالَ اَلْعُلَمَاءُ : وَشَبَهُ اَلنَّخْلَةَ بِالْمُسْلِمِ فِي كَثْرَةِ خَيْرِهَا ، وَدَوَامِ ظِلِّهَا ، وَطِيبِ ثَمَرِهَا ، وَوُجُودِهِ عَلَى اَلدَّوَامِ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ حِينِ يُطْلِعُ ثَمَرُهَا لَا يَزَالُ يُؤْكَلُ مِنْهُ حَتَّى يَيْبَسَ ، وَبَعْدَ أَنْ يَيْبَسَ يُتَّخَذُ مِنْهُ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ، وَمِنْ خَشَبِهَا وَوَرَقِهَا وَأَغْصَانِهَا ، فَيُسْتَعْمَلُ

جُذُوعًا وَحَطَبًا ، وَعَصِيًّا وَمَخَاصِرَ ، وَحُصُرًا وَحِبَالًا وَأَوَانِيَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، ثُمَّ آخِرُ شَيْءٍ مِنْهَا نَوَاهَا ، وَيُنْتَفَعُ بِهِ عَلَفًا لِلْإِبِلِ ، ثُمَّ جَمَالَ نَبَاتِهَا ، وَحُسْنَ هَيْئَةِ ثَمَرِهَا ، فَهِيَ مَنَافِعُ كُلُّهَا ، وَخَيْرٌ وَجَمَالٌ ، كَمَا أَنَّ اَلْمُؤْمِنَ خَيْرٌ كُلُّهُ ، مِنْ كَثْرَةِ طَاعَاتِهِ وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ ،وَيُوَاظِبُ عَلَى صَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَقِرَاءَتِهِ وَذِكْرِهِ وَالصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ ، وَسَائِرِ اَلطَّاعَاتِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَهَذَا هُوَ اَلصَّحِيحُ فِي وَجْهِ اَلتَّشْبِيهِ .

(6)يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ ثَابِتًا كَالنَّخْلَةِ شَامِخًا بِإِسْلَامِهِ كَشُمُوخِهَا وَعُلُوِّهَا،كَثِيرَ اَلْخَيْرِ وَالنَّفْعِ لِمَنْ حَوْلَهُ كَالنَّخْلَةِ يَضْرِبُهَا اَلنَّاسُ بِالْحَجَرِ فَتُعْطِي أَطْيَبَ اَلثَّمَرِ .

(7)وَفِيهِ:اسْتِحْبَابُ حُضُورِ اَلصِّغَارِ مَجَالِسَ اَلْكِبَارِ . إِذَا كَانَ لَهُمْ تَمْيِيزٌ وَحُسْنُ أَدَبٍ . لِتَنْمُوَ مَدَارِكُهُمْ، وَتَتَّسِعَ أَفْهَامُهُمْ .

(وَفِيهِ:إِعْطَاءُ اَلصَّغِيرِ حَقَّ اَلْمُشَارَكَةِ فِي اَلْحَدِيثِ وَالتَّعْبِيرِ عَمَّا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ، لِقَوْلِ عُمَرَ –رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ–:{ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا؟ } وَيُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَوْ تَكَلَّمَ بِذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْهُ أَحَدٌ .

(9)وَفِيهِ: تَوْقِيرُ صِغَارِ اَلصَّحَابَةِ لِكِبَارِهِمْ فَابْنُ عُمَرَ امْتَنَعَ مِنْ إِبْدَاءِ اَلْإِجَابَةِ . وَقَدْ عَرَفَهَا . لِئَلَّا يُقَالَ بَعْدُ: عَرَفَهَا صَبِيٌّ وَلَمْ يَعْرِفْهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَمَا هَذَا إِلَّا مِنْ قُوَّةِ فَهْمِهِ وَعَظِيمِ أَدَبِهِ –رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ .–

(10)وَفِيهِ: تَقْدِيمُ اَلصَّغِيرِ أَبَاهُ فِي اَلْقَوْلِ، وَأَنَّهُ لَا يُبَادِرُهُ بِمَا فَهِمَهُ وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ اَلصَّوَابُ .

(11)وَفِيهِ: أَنَّ اَلْعَالِمَ اَلْكَبِيرَ قَدْ يَخْفَى عَلَيْهِ بَعْضُ مَا يَدْرِكُهُ مَنْ هُوَ دُونَهُ، لِأَنَّ اَلْعِلْمَ مَوَاهِبُ، وَاَللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ .

(12)وَفِيهِ: امْتِحَانُ اَلْمُعَلِّمِ أَذْهَانَ اَلطَّلَبَةِ بِمَا يَخْفَى مَعَ بَيَانِهِ لَهُمْ إِنْ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ، لِقَوْلِ اَلنَّبِيِّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ هِيَ اَلنَّخْلَةُ }.

(13)وَفِيهِ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اَلْمُمْتَحَنَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَفَطَّنَ لِقَرَائِنِ اَلْأَحْوَالِ اَلْوَاقِعَةِ عِنْدَ اَلسُّؤَالِ لِأَنَّ فَهْمَهُ فَرْعٌ عَنْ حُلِّهِ. لِقَوْلِ اِبْنِ عُمَرَ .كَمَا فِي رِوَايَةِ أَبِي عَوَانَةَ فِي صَحِيحِهِ .::{ فَظَنَنْتُ أَنَّهَا اَلنَّخْلَةُ مِنْ أَجْلِ اَلْجُمَّارِ اَلَّذِي أَتَى بِهِ }.

(وَالْجُمَّارُ: هُوَ مَا يُؤْكَلُ مِنْ قَلْبِ اَلنَّخْلِ، وَيَكُونُ لَيِّنًا) .

(14)وَفِيهِ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اَلْمُمْتَحِنَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يُبَالِغَ فِي اَلتَّعْمِيَةِ بِحَيْثُ لَا يَجْعَلُ لِلْمُمْتَحَنِ بَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ، بَلْ كُلَّمَا قَرَّبَهُ كَانَ أَوْقَعَ فِي نَفْسِ سَامِعِهِ .

(15)وَفِيهِ: اسْتِحْبَابُ اَلْحَيَاءِ مَا لَمْ يُؤَدِّ إِلَى تَفْوِيتِ مَصْلَحَةٍ، وَلِهَذَا تَمَنَّى عُمَرُ أَنَّ يَكُونَ اِبْنُهُ لَمْ يَسْكُتْ .

(16)وَفِيهِ: دَلِيلٌ أَنَّ بَيْعَ اَلْجُمَّارِ جَائِزٌ، لِأَنَّ كُلَّ مَا جَازَ أَكْلُهُ جَازَ بَيْعُهُ، وَلِهَذَا بَوَّبَ عَلَيْهِ اَلْبُخَارِيُّ فِي اَلْبُيُوعِ .

(17)وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَجْمِيرِ اَلنَّخْلِ، وَقَدْ بَوَّبَ عَلَيْهِ اَلْبُخَارِيُّ فِي اَلْأَطْعِمَةِ، لِئَلَّا يَظُنَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ إِضَاعَةِ اَلْمَالِ .

(18)وَفِيهِ: ضَرْبُ اَلْأَمْثَالِ وَالْأَشْبَاهِ لِزِيَادَةِ اَلْإِفْهَامِ، وَتَصْوِيرُ اَلْمَعَانِي لِتَرْسُخَ فِي اَلذِّهْنِ، وَلِتَحْدِيدِ اَلْفِكْرِ فِي اَلنَّظَرِ فِي حُكْمِ اَلْحَادِثَةِ .

(19)وَفِيهِ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ تَشْبِيهَ اَلشَّيْءِ بِالشَّيْءِ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ نَظِيرُهُ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ، فَإِنَّ اَلْمُؤْمِنَ لَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ مِنَ اَلْجَمَادَاتِ وَلَا يُعَادِلُهُ.

(20)وَفِيهِ: أَنَّ اَلْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ –مَطْبُوعٌ– عَلَى مَحَبَّةِ اَلْخَيْرِ لِنَفْسِهِ وَلِوَلَدِهِ.

(21)وَفِيهِ: أَنَّ اَلْوَالِدَ يُسَرُّ بِنَجَابَةِ وَلَدِهِ وَحُسْنِ فَهْمِهِ، وَيُحِبُّ أَنْ تَظْهَرَ فَضِيلَتُهُ فِي اَلْفَهْمِ مِنْ صِغَرِهِ .

(22)وَفِيهِ: اَلْإِشَارَةُ إِلَى حَقَارَةِ اَلدُّنْيَا فِي عَيْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ – لِأَنَّهُ قَابَلَ فَهْمَ اِبْنِهِ لِمَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ بِحُمْرِ اَلنَّعَمِ مَعَ عِظَمِ مِقْدَارِهَا وَغَلَاءِ ثَمَنِهَا .



•أَسَالِيبُ تَرْبَوِيَّةٌ مِنْ اَلْحَدِيثِ :

–قَالَ اَلْكَاتِبُ (تَوْفِيقُ عُمَرَ سَيِّدِي)فِي مَقَالٍ بِعُنْوَانِ(دُرُوسٌ وَفَوَائِدُ تَرْبَوِيَّةٌ مِنْ حَدِيثِ إِنَّ مِنْ اَلشَّجَرِ شَجَرَةً) مِنْ نَصُّهُ :

}لَقَدْ تَنَوَّعَتِ اَلْأَسَالِيبُ اَلَّتِي اِتَّبَعَهَا اَلنَّبِيُّ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي تَعْلِيمِ الصَّحَابَةِ اَلْكِرَامِ – رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ – فَكَانَ اَلتَّعْلِيمُ وَالتَّرْبِيَةُ بِالْقُدْوَةِ، عَنْ طَرِيقِ ضَرْبِ اَلْمَثَلِ، اَلتَّرْبِيَةُ بِالْقِصَّةِ، بِالْوَصِيَّةِ، بِالْمَوْعِظَةِ، بِالْمُلَاحَظَةِ، بِالْمُمَارَسَةِ وَالْعَمَلِ، وَعَنْ طَرِيقِ اَلسُّؤَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. –دَعُونَا نَسْتَعْرِضُ أَمْثِلَةً عَلَى أَحَدِ هَذِهِ اَلْأَسَالِيبِ اَلتَّرْبَوِيَّةِ، أَلَا وَهُوَ (اَلتَّعْلِيمُ عَنْ

طَرِيقِ اَلسُّؤَالِ): إِنَّ طَرِيقَةَ اَلسُّؤَالِ وَالجْوَابِ، مِنْ اَلْأَسَالِيبِ اَلتَّرْبَوِيَّةِ اَلنَّاجِحَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَقَدْ تَكَرَّرَتْ فِي تَعْلِيمِ اَلنَّبِيِّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَصْحَابِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ اَلْأَحَادِيثِ اَلنَّبَوِيَّةِ لِمَا فِيهَا مِنْ لَفْتِ اِنْتِبَاهِ اَلسَّامِعِينَ وَإِعْدَادِ أَذْهَانِهِمْ لِتَلَقِّي اَلجْوَابِ اَلصَّحِيحِ –وَهَذَا اَلْأُسْلُوبُ يَعْتَبِرُ مِنْ أَبْرَزِ اَلْأَسَالِيبِ اَلَّتِي اِتَّبَعَهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اَللَّهِ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي تَعْلِيمِ اَلصَّحَابَةِ اَلْكِرَامِ – رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمْ.–

–وَإِلَيْكُمْ مِثَالًا :

–عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اَللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:{ أَتَدْرُونَ مَا اَلْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا: اَلْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ : إِنَّ اَلْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي اَلنَّارِ }.(أَخْرَجَهُ اَلْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي اَلْبِرِّ وَالصِّلَةِ : ٢٥٨١، وَالْإِمَامُ اَلتِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ اَلْقِيَامَةِ : ٢٤١٨).

–مِثَالٌ آخَرُ :

–وَعَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ اَلْعَاصِ–رَضِيَ اَللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ:{ تَدْرُونَ مَنِ اَلْمُسْلِمُ؟ قَالُوا: اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مَنْ سَلَّمَ اَلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ }، قَالَ–صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ تَدْرُونَ مَنِ اَلْمُؤْمِنُ؟ قَالُوا: اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مَنْ أَمِنَهُ اَلْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ اَلسُّوءَ فَاجْتَنَبَهُ }.(أَخْرَجَهُ اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ : ٦٨٨٦).

–مِثَالٌ آخَرُ :

–عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عُمَرَ–رَضِيَ اَللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا– أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:إِنَّ مِنْ اَلشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ اَلْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ اَلنَّاسُ فِي شَجَرِ اَلْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا اَلنَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اَللَّهِ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا،فَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ–صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :هِيَ اَلنَّخْلَةُ. قَالَ عَبْدُ اَللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا

وَكَذَا }.(اَلْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي مَوَاضِعَ، مِنْهَا: اَلْعِلْمُ حَدِيثُ رَقْمٍ :١٣١، وَفِي تَفْسِيرِ اَلْقُرْآنِ : ٤٦٩٨، وَمُسْلِمٌ فِي صِفَةِ اَلْقِيَامَةِ بِرَقْمٍ : ٢٨١١).

–وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:{ أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ، مَثَلُهَا مَثَلُ اَلْمُسْلِمِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ، بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَلَا تَحُتُّ وَرَقَهَا؟ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا اَلنَّخْلَةُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا قَالَ اَلنَّبِيُّ–صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : هِيَ اَلنَّخْلَةُ. فَلَمَّا خَرَجْتُ مَعَ أَبِي قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ! وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا اَلنَّخْلَةُ، قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا؟ لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: مَا مَنَعَنِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَرَكَ وَلَا أَبَا بَكْرٍ، تَكَلَّمْتُمَا، فَكَرِهْتُ }.(اَلْبُخَارِيُّ فِي اَلْأَدَبِ : ٦١٤٤).

،وَفِي أُخْرَى، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ اَلنَّبِيِّ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– جُلُوسٌ إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ،، فَقَالَ اَلنَّبِيُّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنَّ مِنْ اَلشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ اَلْمُسْلِمِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي اَلنَّخْلَةَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ اَلنَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اَللَّهِ، ثُمَّ اِلْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ،،أَنَا أَحْدَثُهُمْ فَسَكَتُّ فَقَالَ اَلنَّبِيُّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هِيَ اَلنَّخْلَةُ }.(اَلْبُخَارِيُّ فِي اَلْأَطْعِمَةِ: ٥٤٤٨). وَهَذَا أَعَمُّ مِنْ اَلَّذِي قَبْلَهُ }.

–فَبَرَكَةُ اَلنَّخْلَةِ مَوْجُودَةٌ فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهَا مُسْتَمِرَّةٌ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهَا وَكَذَلِكَ بَرَكَةُ اَلْمُؤْمِنِ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ اَلْأَحْوَالِ وَنَفْعُهُ مُسْتَمِرٌّ لَهُ وَلِغَيْرِهِ حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ. –وَاَلنَّخْلَةُ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَجُذُورُهَا ضَارِبَةٌ فِي اَلْأَرْضِ، وَاَلْمُسْلِمُ ثَابِتٌ فِي عَقِيدَتِهِ .

–وَلَا تَقْتَلِعُهَا اَلرِّيحُ وَالْمُسْلِمُ اَلصَّادِقُ لَا تُزَلْزِلُهُ أَعَاصِيرُ اَلْفِتَنِ، وَلَا تُرَدُّهُ عَنْ عَقِيدَتِهِ شُبُهَاتُ اَلتَّشْكِيكِ وَالتَّضْلِيلِ. –وَهِيَ عَالِيَةٌ بَاسِقَةٌ وَكَذَلِكَ اَلْمُسْلِمُ يَتَعَالَى عَلَى اَلنَّقَائِصِ وَالدَّنَاءَاتِ، وَيَتَرَفَّعُ عَنْ اَلْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ.

–وَثَمَرُهَا طَيِّبٌ وَمَا يَصْدُرُ عَنْ اَلْمُسْلِمِ مِنْ اَلْعُلُومِ وَالْخَيْرِ قُوتٌ لِلْأَرْوَاحِ مُسْتَطَابٌ.

–وَإِذَا ضُرِبَتْ بِحَجَرٍ عَادَتْ عَلَى ضَارِبِهَا بِأَطْيَبِ اَلثَّمَرِ، وَكَذَا اَلْمُسْلِمُ يُقَابِلُ اَلْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ.

–وَلَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا،وَكَذَلِكَ اَلْمُؤْمِنُ لَا تَسْقُطُ لَهُ دَعْوَةٌ فَهُوَ بَيْنَ ثَلَاثٍ: فَإِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ اَللَّهُ لَهُ، وَأَمَّا أَنْ يُؤَخِّرَ إِجَابَتَهُ لِحُكْمٍ يَعْلَمُهَا –سُبْحَانَهُ–، وَإِمَّا أَنْ يُعَوِّضَهُ عَنْهَا . يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ . خَيْرًا مِنْهَا.



(ب) وَأَخْرَجَ الإِمَامُ ابْنُ حِبَّانٍ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ (١/٢٧٤) بِرَقْم (٢٤٦) وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِ الجَامِعِ بِرَقْم (٥٨٤٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: { مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا تَضَعُ إِلَّا طَيِّبًا }.، وَفِي رِوَايَةٍ:

{ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ، أَكَلَتْ طَيِّبًا، وَوَضَعَتْ طَيِّبًا، وَوَقَعَتْ فَلَمْ تَكْسِرْ وَلَمْ تَفْسُدْ }. (مُسْنَدُ أَحْمَدَ).

•شَرْحُ الْحَدِيثِ:

فِي هَذَا الْحَدِيثِ شَبَّهَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْمُؤْمِنَ بِالنَّحْلَةِ؛ وَقَدْ نَبَّهَ ابْنُ الأَثِيرِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– إِلَى أَكْثَرِ الصِّفَاتِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ النَّحْلَةِ وَالْمُسْلِمِ، فَقَالَ: { وَجْهُ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالنَّحْلَةِ حِذْقُ النَّحْلِ وَفِطْنَتُهُ، وَقِلَّةُ أَذَاهُ، وَمَنْفَعَتُهُ، وَقُنُوعُهُ، وَسَعْيُهُ فِي اللَّيْلِ، وَتَنَزُّهُهُ عَنِ الأَقْذَارِ، وَطِيبُ أَكْلِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ غَيْرِهِ، وَطَاعَتُهُ لِأَمِيرِهِ }. (يُنْظَرْ: النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالأَثَرِ: ٥/٢٩).

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ عَدَّدَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَرَاهَا فِي النَّحْلَةِ وَيَحْسُنُ وُجُودُهَا فِي الْمُؤْمِنِ الْحَقِيقِيِّ، فَذَكَرَ مِنْهَا: تَأْكُلُ الطَّيِّبَ، وَتَضَعُ الطَّيِّبَ، وَإِذَا وَقَعَتْ عَلَى عُودٍ لَمْ تَكْسِرْهُ، وَلَمْ تُفْسِدْ.

(1){ تَأْكُلُ الطَّيِّبَ }: فَالنَّحْلُ لَا يَمْتَصُّ إِلَّا رَحِيقَ الأَزْهَارِ الْفَوَّاحَةِ وَيَرْعَى النَّحْلُ الزُّهُورَ وَأَعْوَادَ الْوُرُودِ، وَلَيْسَ مِنَ الْحَشَرَاتِ مَا يَنْتَقِي مَا يَقَعُ عَلَيْهِ مِثْلَ النَّحْلِ؛ لِذَا كَانَ أَطْيَبُ الْعَسَلِ الْبَرِّيِّ الْجَبَلِيِّ الَّذِي يَنْتَقِي فِيهِ النَّحْلُ زُهُورَهُ بِنَفْسِهِ لَا بِانْتِقَاءِ النَّاسِ لَهُ، فَكُنْ –أَيُّهَا الْمُسْلِمُ –كَالنَّحْلَةِ، وَلَا تَكُنْ كَالذُّبَابَةِ تَحُومُ حَوْلَ النَّجَاسَاتِ وَالْقَاذُورَاتِ وَتَقَعُ عَلَى الْجِيَفِ النَّتِنَةِ، فَالْمُؤْمِنُ إِنْ رَأَى عَيْبًا أَصْلَحَهُ، أَوْ خَلَلًا سَدَّهُ، أَوْ تَقْصِيرًا أَكْمَلَهُ، لَا يَبْحَثُ

عَنْ أَخْطَاءِ الآخَرِينَ، وَلَا يَجْعَلُهَا غَرَضًا، فَالنَّحْلُ يَنْشُدُ الْفَائِدَةَ فَقَطْ، وَلَا يُضَيِّعُ وَقْتَهُ فِيمَا لَا يَنْفَعُ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ لَا يَتَحَسَّسُ عُيُوبَ النَّاسِ، إِنْ رَأَى تِلْكَ الأَخْطَاءَ لَا يَجْعَلُهَا بُغْيَتَهُ وَمَقْصُودَهُ، بَلْ يَمُرُّ عَلَيْهَا فَيُجَاوِزُهَا كَالنَّحْلِ وَلَا يَقِفْ!

-النَّحْلُ لَا يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ غَيْرِهِ:قَالَ حَكِيمٌ مِنَ الْيُونَانِ لِتَلَامِذَتِهِ:

{ كُونُوا كَالنَّحْلِ فِي الْخَلَايَا، قَالُوا: وَكَيْفَ النَّحْلُ فِي الْخَلَايَا؟ قَالَ: إِنَّهَا لَا تَتْرُكُ عِنْدَهَا بَطَّالًا إِلَّا نَفَتْهُ وَأَبْعَدَتْهُ، وَأَقْصَتْهُ عَنِ الْخَلِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ يُضَيِّقُ الْمَكَانَ، وَيُفْنِي الْعَسَلَ، وَيُعَلِّمُ النَّشِيطَ الْكَسَلَ }. يَعْمَلُ بِإِتْقَانٍ وَنِظَامٍ وَيَجْتَهِدُ، وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنَ الْعَمَلِ، بَلْ يَعْمَلُ فِي صَمْتٍ، وَلَا يَنْتَظِرُ مَنْصِبًا أَوْ مَكَانَةً فِي خَلِيَّتِهِ.

-فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، كُلْ حَلَالًا طَيِّبًا، وَأَطْعِمْ غَيْرَكَ طَيِّبًا، وَكُنْ لِلْخَبِيثِ مُجْتَنِبًا، وَإِيَّاكَ وَالْحَرَامَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }. (المؤمنون: ٥١).،وَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ }. (البقرة: ١٧٢).

-ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ }. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ.(

(2){ النَّحْلَةُ تَضَعُ الطَّيِّبَ }:قَالَ تَعَالَى: { يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ }. (النحل: ٦٩).

وَمِمَّا قَالَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الْغَزَالِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: { الْمُسْلِمُ كَالنَّحْلَةِ الَّتِي تَطُوفُ بِالْحَدَائِقِ وَالْحُقُولِ، تَطْعَمُ الْخَيْرَ، وَتُعْطِي الْعَسَلَ، وَلَا يَرَى أَحَدٌ مِنْهَا إِلَّا مَا يَسُرُّ }.

-فَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ نَافِعًا لِلْغَيْرِ كَالنَّحْلِ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-:أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: { أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى: أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا }. (أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ).

–وَقَالَ عَلِيٌّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–:{ كُونُوا فِي النَّاسِ كَالنَّحْلَةِ فِي الطَّيْرِ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الطَّيْرِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَضْعِفُهَا، وَلَوْ يَعْلَمُ الطَّيْرُ مَا فِي أَجْوَافِهَا مِنَ الْبَرَكَةِ، لَمَا فَعَلُوا ذَلِكَ بِهَا }. (سُنَنُ الدَّارِمِيِّ، وَهُوَ صَحِيحٌ مَوْقُوفٌ).

–وَمَعْنَى كَلَامِهِ: الْمُؤْمِنُ فِي مُخَالَطَتِهِ لِلنَّاسِ لَا يَأْخُذُ مِنْهُمْ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَوْ أَسَاءُوا إِلَيْهِ، كَالنَّحْلَةِ لَا تَأْخُذُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا تُعْطِي إِلَّا طَيِّبًا، وَالْمُؤْمِنُ إِذَا عَلَّمَ عِلْمًا كَانَ طَيِّبًا يَنْفَعُ النَّاسَ وَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَنْتَجَ شَيْئًا كَانَ إِنْتَاجُهُ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبَاتِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ قَالَ قَوْلًا طَيِّبًا،

–فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ }. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

(3){ وَإِذَا وَقَعَتْ لَمْ تَكْسِرْ وَلَمْ تُفْسِدْ }:حَتَّى لَسْعَهَا –كَشَرْطَةِ الطَّبِيبِ – يُعَالِجُ بَعْضَ الأَمْرَاضِ، فَهِيَ تَدْفَعُ الْخَطَرَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتُدَاوِي مَنْ يُهَاجِمُهَا، وَلَا تَهْجُمُ هُجُومَ الْجَرَادِ الْمُهْلِكِ، فَالنَّحْلُ لَيْسَ مِنَ الْحَشَرَاتِ الَّتِي تُفْسِدُ كَالْجَرَادِ، بَلْ إِنَّ خَلَايَاهُ يُشَيِّدُهَا بَعِيدًا عَنْ مَرْمَى الْبَصَرِ، حَتَّى لَا يُؤْذِي أَحَدًا بِهَا، وَلِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِ، وَعَدَمِ إِفْسَادِهِ وَإِيذَائِهِ، نَهَى رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ قَتْلِ النَّحْلَةِ. (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ).

–فَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ؛ حَيْثُمَا حَلَّ أَوِ ارْتَحَلَ يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، كَمَا أَنَّ النَّحْلَ لَا يُفْسِدُ فِي تَرَحَالِهِ وَتَنَقُّلِهِ، لَكِنْ بَعْضُ النَّاسِ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ!

–وَمِنْ صِفَاتِ النَّحْلِ الْعَمَلُ الْجَمَاعِيُّ (فِي بِنَاءِ الْبُيُوتِ وَفِي طَلَبِ الرِّزْقِ)، تَعْمَلُ فِي مَجْمُوعَاتٍ كَبِيرَةٍ، فَقَدْ يَصِلُ عَدَدُ أَفْرَادِ الْخَلِيَّةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى خَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفًا.

–وَخَلِيَّةُ النَّحْلِ تُشْبِهُ – الْيَوْمَ – مَدِينَةً كَبِيرَةً، وَيَقُومُ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ النَّحْلِ بِأَدَاءِ عَمَلِهِ، فَمِنْ وَظَائِفِ شَغَّالَةِ النَّحْلِ: جَمْعُ الرَّحِيقِ الَّذِي يُصْنَعُ مِنْهُ الْعَسَلُ، وَجَمْعُ حُبُوبِ اللِّقَاحِ أَيْضًا.

-وَتَقُومُ بَعْضُ أَفْرَادِ الشَّغَّالَةِ بِبِنَاءِ أَقْرَاصِ الْعَشِّ مِنْ شَمْعٍ مُسْتَخْرَجٍ مِنْ أَجْسَامِهَا، وَمِنْهَا مَا يَقُومُ بِخِدْمَةِ الْمَلِكَةِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُخَصَّصٌ لِتَهْوِيَةِ الْخَلِيَّةِ، وَالتَّنْظِيفِ، بَيْنَمَا تَقُومُ مَجْمُوعَاتٌ لِحِرَاسَةِ الْخَلِيَّةِ فَتَلْسَعُ أَيَّ عَدُوٍّ يَقْتَرِبُ مِنْهَا.

-وَمِنْ شَأْنِ النَّحْلِ فِي تَدْبِيرِ مَعَاشِهِ أَنَّهُ إِذَا أَصَابَ مَوْضِعًا نَقِيًّا بَنَى فِيهِ بُيُوتًا، فَقَدْ أَلْهَمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ الْقَائِلُ فِي كِتَابِهِ:

{ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا، يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }. (النَّحل: ٦٨–٦٩).

-فَتَأَمَّلْ كَمَالَ طَاعَتِهَا وَحُسْنَ امْتِثَالِهَا لِأَمْرِ رَبِّهَا، كَيْفَ اتَّخَذَتْ بُيُوتًا فِي هَذِهِ الأَمْكِنَةِ الثَّلَاثَةِ: الْجِبَالِ، وَالشَّجَرِ، وَبُيُوتِ النَّاسِ حَيْثُ يَعْرِشُونَ؛ أَيْ: حَيْثُ يَبْنُونَ الْعُرُوشَ، فَلَا تَرَى لِلنَّحْلِ بَيْتًا فِي غَيْرِ هَذِهِ الأَمْكِنَةِ الثَّلَاثَةِ.

-وَتَأَمَّلْ كَيْفَ كَانَتْ أَكْثَرُ بُيُوتِهَا فِي الْجِبَالِ، وَهِيَ الْمُقَدَّمَةُ فِي الآيَةِ، ثُمَّ فِي الأَشْجَارِ وَهِيَ دُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ فِيمَا يَعْرِشُ النَّاسُ وَهِيَ أَقَلُّ بُيُوتِهَا.

-فَانْظُرْ كَيْفَ أَدَّاهَا حُسْنُ الامْتِثَالِ إِلَى أَنْ اتَّخَذَتِ الْبُيُوتَ قَبْلَ الْمَرْعَى، فَهِيَ تَتَّخِذُ الْبُيُوتَ أَوَّلًا، فَإِذَا اسْتَقَرَّ لَهَا بَيْتٌ خَرَجَتْ مِنْهُ فَأَكَلَتْ مِنَ الثَّمَرَاتِ، ثُمَّ آوَتْ إِلَى بُيُوتِهَا، لِأَنَّ رَبَّهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمَرَهَا بِاتِّخَاذِ الْبُيُوتِ أَوَّلًا، ثُمَّ الأَكْلِ بَعْدَ ذَلِكَ،

فَانْظُرْ إِلَى النَّحْلَةِ كَيْفَ تَصْنَعُ هَذَا امْتِثَالًا لِوَحْيِ اللهِ إِلَيْهَا، فَتَسْلُكُ سُبُلَ رَبِّهَا ذُلُلًا، وَكَذَا الْمُسْلِمُ مَأْمُورٌ فِي الْوَحْيِ بِمِثْلِ هَذَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }. (الْمُلْك: ١٥).



•فَوَائِدُ إِيمَانِيَّةٌ مِنَ الْحَدِيثِ:

-اِسْتَخْرَجَ الْعُلَمَاءُ عِدَّةَ فَوَائِدَ إِيمَانِيَّةٍ مِنْ حَدِيثِ النَّحْلَةِ، أَذْكُرُ مِنْهَا:

(1)فِي الْحَدِيثِ فَضْلُ الْمُؤْمِنِ؛ حَيْثُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ مَا يَضُرُّ النَّاسَ، بَلْ يَنْفَعُهُمْ.

(2)أَنَّ الْمُؤْمِنَ نَافِعٌ لِكُلِّ مَنْ خَالَطَهُ أَوِ اتَّصَلَ بِهِ؛فَهُوَ:إِنْ صَاحَبْتَهُ نَفَعَكَ،وَإِنْ شَاوَرْتَهُ نَفَعَكَ،وَإِنْ جَالَسْتَهُ نَفَعَكَ،وَكُلُّ شَأْنِهِ مَنَافِعُ.

-لِذَا قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:{ مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ؛ لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ تَشْتَرِيَهُ، أَوْ تَجِدَ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً }.

)أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: برقم ٢١٠١، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.(

-وَهَذَا يُبَيِّنُ الْحِكْمَةَ مِنْ تَوْجِيهِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي قَوْلِهِ:{ لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ }.(أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد: ٤٨٢٣، وَالتِّرْمِذِيّ: ٢٣٩٥، وَحَسَّنَهُ).

-لِأَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الْمُؤْمِنِ، وَمِنْ مُقْتَضَى إِيمَانِهِ: أَنْ لَا يَصْدُرَ عَنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ خَيْرٌ وَنَفْعٌ.

(3)أَنَّ مَنْ لَمْ يُبَالِ فِي النَّظَرِ فِي طِيبِ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَكَاسِبِهِ، أَوْ كَانَ يَصْدُرُ مِنْهُ مِنَ الأَقْوَالِ أَوِ الأَفْعَالِ مَا فِيهِ ضَرَرٌ عَلَى غَيْرِهِ، أَوْ أَذًى، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِ.

-فَيَا عَبْدَ اللهِ، كُنْ ثَابِتًا كَالنَّخْلَةِ، نَافِعًا كَالنَّحْلَةِ، فَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

كُنْ كَالنَّخِيلِ عَنِ الأَحْـــقَادِ مُرْتَفِعًا
يُرْمَى بِصَــخْرٍ فَيُلْقِي أَطْيَبَ الثَّمَــرِ.
وَاصْبِرْ إِذَا ضِقْتَ ذَرْعًا وَالزَّمَانُ سَطَا
لَا يَحْصُــلُ الْيُسْرُ إِلَّا بَعْدَ إِعْـــسَارِ.

-وَعَلَيْكَ أَنْ تَتَعَهَّدَ إِيمَانَكَ، وَتُحَاسِبَ نَفْسَكَ، وَتَنْظُرَ إِلَى شُعَبِ الإِيمَانِ وَتَسْتَكْمِلَهَا قَدْرَ اسْتِطَاعَتِكَ،فَكُلَّمَا كَمُلَ الْعَبْدُ إِيمَانًا، كُلَّمَا ارْتَفَعَتْ مَنْزِلَتُهُ وَدَرَجَتُهُ عِنْدَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ.

-وَإِذَا كَانَ النَّخْلُ يَتَفَاوَتُ جَوْدَةً وَنَفْعًا، فَكَذَلِكَ أَهْلُ الإِيمَانِ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ.



•اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ، وَلَا مَرِيضًا إِلَّا شَفَيْتَهُ، وَلَا مُبْتَلًى إِلَّا عَافَيْتَهُ، وَلَا ضَالًّا إِلَّا هَدَيْتَهُ، وَلَا غَائِبًا إِلَّا رَدَدْتَهُ، وَلَا مَظْلُومًا إِلَّا نَصَرْتَهُ، وَلَا أَسِيرًا إِلَّا فَكَكْتَهُ، وَلَا مَيِّتًا إِلَّا رَحِمْتَهُ، وَلَا حَاجَةً لَنَا فِيهَا صَلَاحٌ وَلَكَ فِيهَا رِضًى إِلَّا قَضَيْتَهَا وَيَسَّرْتَهَا بِفَضْلِكَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللهِ أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْدُ الْعَاطِي بْنُ مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

تمت الرسالة

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

